ابن خلدون ومنهجه في التعليم
في كتابه المقدمة[▽]

Ibn Khaldun and his approach to education
(In Al- Muqaddimah)

Assist. Prof. Dr. Najm Abdullah Jawad * ا.م. د نجم عبد الله جواد

- **الملخص:**

تسعى هذه الدراسة الى تسليط الضوء على "المنهجية" التي يجدر بالمعلم والمتعلم الأخذ بها والسير على خطاها، وذلك ان العشوائية وعدم السير وفق الضوابط لا تؤتي اكلها ولا توصل إلى المطلوب إلا في القليل النادر، وقد اقتصر البحث على ابراز تلك المنهجية وفق ما كتبه العلامة عبد الرحمن بن خلدون من خلال كتابه المقدمة، والتي صاغ فيها افضل النظريات العلمية وجعلها خلاصة خبرته في هذا المجال، لنصل في خاتمة المطاف الى خلاصات مقادها ان الشدة على المتعلمين أمر غير صحيح ويأتي بنتائج عكسية وغير مرجوة، هي السبب الرئيس فس ظهور الصفات الدنيئة. وبأن المهن شأنها شأن العلم فهي ملكة عملية وهي تحتاج إلى معلم وكثرة مران وخبرة تتزايد مع الوقت، وذلك المران والعمل الدؤوب هو الذي يخرجها من حيز القوة إلى حيز الفعل والوجود الحقيقي.

الكلمات المفتاحية : التعليم ، الصنائع ، المهن ، تحصيل العلوم

Abstract:

The study attempts to shed light on the methodology that the teacher and learner should adopt and follow in its footsteps, because randomness and failure to follow the controls does not bear fruit and does not reach what is desired except in rare cases. The research was limited to highlighting this methodology according to what was written by the scholar Abdul Rahman bin Khaldun. Through his book, the introduction (Al- Muqaddimah), in which he formulated the best scientific theories and made them a summary of his experience in this field, we ultimately reached conclusions based on the fact that being harsh on learners is incorrect and

▽ تاريخ التقديم : 2023/9/8 تاريخ القبول: 2023/10/12 تاريخ النشر: 2023/12/31

* gvyexf@gmail.com

brings counterproductive and undesired results, and is the main reason for the emergence of vile traits. Moreover, He said the professions, like science, require a teacher, a lot of practice, and experience that increases with time, and that practice and hard work is what takes them from the realm of power to the realm of action and true existence .

• **Keywords: Education, Industrial, vocational, Science acquisition**

- **المقدمة:**

"الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السليم على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين" ..

أما بعد :

فإن علماء المسلمين منذ مبعث رسولنا الأكرم (ص) لم يتركوا باباً من أبواب العلم، ولا فناً من فنون المعرفة إلا وأشبعوها بحثاً ودراسة وتمحيصاً وتلخيصاً، يعقب بعضهم بعضاً في سلاسل من ذهب يكمل اللاحق منهم السابق، ويصوب المصيب منهم المخطئ، وما ذاك إلا امتداداً لمعجزات النبي (ص)، وهديه ونور القرآن الذي تشربت من الذات المسلمة، ومن بين أهم اولئك الأعلام: المفكر ابن خلدون عالم الاجتماع الذي أتي بنظريات لم يسبق إليها ولا تزال مؤلفاته مع تقادم زمنه غضة طرية، ومنهلاً عذبا يكرع منه طالبو المعرفة على اختلاف الوانهم وثقافاتهم وتخصصاتهم ، وإذا كان قد عرف عنه اهتمامه بالتاريخ وتأليفه في ذلك العلم التآليف العجيبة والتي لا تزال على مر الدهور محط اعجاب ومصدر إلهام، فإن اهتماماته لم تكن مقتصرة على التاريخ فقط بل كانت له صولات وجولات في كثير من العلوم والاختصاصات والمسائل المهمة والحساسة ومن بين تلك المسائل اهتمامه بمسألة التعليم وعرضه لمنهجية متكاملة وبيان بعض المحاذير والمخاطر والتي من شأنها ان تكون حجر عثرة في وجه تقدم عجلة التعليم والمضي به قدما، وقد أثرت هذ الدراسة ان تكون مكاناً لعرض هذه المنهجية المميزة وبيان ما ذكره من عوائق ومخاطر يجب تجنبها.

أهمية البحث: يمكن اجمال ما تتمتع به هذه الدراسة من خلال الجوانب الآتية:

1. أهمية التعليم والتعلم، إذ هما سلم لرقي الانسان، وحجراً اساساً في بناء الحضارات.
2. ما يتحلى به العلامة ابن خلدون من الحنكة في التصنيف ، والتي تُنبئ عن شخصية علمية فذة قل نظيرها ، قد علمتها الإيام ، وشحذت عبقريتها التجارب.

3. الوقوف على توصيات العباقرة ، والاستفادة من تجاربهم أمر في غاية الأهمية في بناء صرح علمي واضح المعالم يسهم في خدمة البشرية كافة.

هدف البحث: "يحاول البحث ان يسلط الضوء" في هاته الورقات، على تجربة حية واقعية لعبقري من عباقرة الأمة في التعلم والتعليم، وهي وإن كانت قديمة قد تطاولت عليها السنون، إلا انها لا تزال غضة طرية ، يملأها الابتكار والأصالة، لم يعف عليها الزمن ولم يمحها كر السنين.

مشكلة البحث: في طريق طلب العلم تواجه الطالب او من يقوم بتدريسه عدة أسئلة من أهمها:

ما هي المنهجية التي ينبغي أن اتبعها سواء في التعلم أو التعليم؟

من اين أبدأ ؟ هل ابدأ بالمختصرات أو أبدأ بالمطولات؟ كم مرحلة يمكن ان اجتاز في مراحل تعلم هذا العلم لإصل فيه إلى التميز والنبوغ؟ وهل العلوم كلها تؤخذ بطريقة واحدة؟ هل هناك فرق بين العلوم الآلية، والعلوم النقلية سواء في تحصيلها او تدريسها؟

كل تلك الأسئلة تدور في ذهن طالب العلم ومدرسه على حد سواء والفارق بين النبوغ والبلادة، والتميز والهزال يكمن في اتباع المنهجية ، لذلك فمن الضروري بناء منهجية علمية رصينة يستعان فيها بما خطته انامل عباقرة وعلماء امتنا ، ثم الاستفادة من النظريات الحديثة وما توصل إليه العلم الحديث في هذا الصدد، والذي يحاول الباحث اظهاره، هو ما ذكره ابن خلدون في هذا الشأن من خلال كتابه المقدمة.

فرضية البحث: يتناسب مستوى تلقي العلوم تناسباً طردياً مع وجود "المنهجية الواضحة" في التعلم والتعليم فكلما كانت منهجية التعليم مدروسة بعناية متناسبة مع المتلقي كلما اعطى ذلك نجاحاً للعملية التعليمية ككل، إن تعليم الطالب كيفية التعلم لا تقل أهمية عن تعليمه العلم نفسه إن لم تكن الأهم.

الاطار المنهجي للبحث :

جاء هذا البحث على أربعة محاور:

أولاً: ابن خلدون حياته وآثاره.

ثانياً: حقيقة التعليم عند ابن خلدون.

ثالثاً: فلسفة ابن خلدون الفكرية في تحصيل العلوم.

رابعاً: عوائق التحصيل

الخاتمة : وفيها أبرز النتائج والتوصيات

اولا : حياة ابن خلدون وآثاره

اسمه: ابن خلدون قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي[1]

ولادته: ولد سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة. في تونس. [2]

طلبه للعلم وشيوخه: ذكر أنه سمع بعض من الصحاح على أبي البركات البلقيني ، وعلى الوادي آشي ، والموطأ على ابن عبد السلام ، والقراءات على أبي عبد الله بن نزال، وكان بارعا في الأصول وغيره أديبا[3]

المناصب التي شغلها: ولي قضاء الديار المصرية غير مرة في دولة الملك الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج.

نشأته: كانت نشأة ابن خلدون في أسرة امتطت ذرى الرياسة ، وخفق فيها روح العلم والأدب ، مما ساعد ذكاءه الفطري على يشتعل بشدة ، وجعل نفسه الزكية بمقربة من الهمم الكبيرة، نشأ بان خلدون، وكانت رياض العلم في مدينة تونس زاهية وسوق الأدب نافقة، فاستظهر بالقرآن، وتلقى فن الأدب عن والده ثم أقبل يجتبي ثمار العلوم بشغف ويتردد على مجالسة العلماء الراسخين. [4]

عكف ابن خلدون على التحصيل والدرس حتى بلغ الثامنة عشرة، وهنا طافت بالمغرب تلك الكارثة العظمي التي نكبت العالم الإسلامي كله من سمرقند إلى المغرب، ونعنى به الفناء الكبير أو الطاعون الجارف كما يسميه ابن خلدون، وهو الوباء نفسه الفاتك الذي عصف يومئذٍ بايطالياو معظم الأمم الأوربية.. وقد وقعت هذه النكبة بالمشرق والمغرب معاً سنة 1349م، وهلك فيها والدا المؤرخ وجميع شيوخه، ومعظم سكان تونس، ويشير ابن خلدون إلى تلك النكبة غير مرة في لهجة مؤثرة، فيقول إنها: (طوت البساط بما فيه) وفيها: (ذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله.)[5]

حياته ومميزاته: "الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس". "رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس".

"([1]) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : 911هـ) المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى 1387 هـ – 1967 م، 462/1".

([2]) المصدر السابق، 462/1.

"([3]) ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: 832هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1410هـ/1990م"، 100/2.

([4]) حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، محمد الخضر حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر 2012م، ص:10.

([5]) ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهر ' الطبعة الثانية، 1953م– 1372هـ، 20.

"ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة".

"كان فصيحا، جميل الصورة، عاقلا، صادق اللهجة، عزوفا عن الضيم، طامحا للمراتب العالية.

ولما رحل إلى الأندلس اهتزّ له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه "[1]

مؤلفاته:

1. "اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدإ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع"، تُرجمت" هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه. ثم أفرد هذا الفصل، فتبسّط فيه، وجعله ذيلا للعبر، وسماه (التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غربا وشرقا"[2]
2. شرح البردة.
3. كتاب في (الحساب)
4. رسالة في (المنطق)
5. شفاء السائل لتهذيب المسائل[3]

وفاته : مات في رمضان سنة ثمان وثمانمائة بالقاهرة [4]

ثانيا :حقيقة التعليم عند ابن خلدون

نهج ابن خلدون (رحمه الله) في باب التعليم والمعرفة أساليب وفنوناً متنوعة وله فكر وفلسفة معينة وتوصيات عملية يمكن اظهارها من خلال ما يأتي:

1: العلم يحتاج إلى الممارسة ليخرج من القوة إلى الفعل: يبين ابن خلدون في مقدمته أن العلم وتحصيله بالنسبة الى النفس البشرية، وهو أن النفس البشرية يوجد فيها قابلية التعليم وهو ما يطلق عليه الوجود بالقوة ، نظير ما يكمن في البذرة من قابلية النبات، وانما يخرجها من القوة الى الفعل إي الوجود الفعلي هو

([1])الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـــ) دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو 2002، 330/3.

([2]) الاعلام، الزركلي، 330/3.

([3]) المصدر السابق، 330/3.

([4]) حسن المحاضرة، السيوطي، 462/1.

مزاولة التعلم والاستمرار فيه، يقول في ذلك : "أن النفس الناطقة للإنسان إنما توجد فيه بالقوة وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات عن المحسوسات أولا ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكا بالفعل وعقلا محضا فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها عقلا فريدا" [1] ومراده بإفادته عقلاً فريداً أن القابليات العقلية والجوانب الإدراكية تتسع وتتنوع لا ان يكون لكل علم عقل منفرد.

2: التعليم من جملة الصنائع:

يبين ابن خلدون أن العملية التعليمية إنما تتم على يد مختص عارف بالعلم وذلك لا يتأتى في رأي ابن خلدون إلا على يد من يمتلك (الملكة) والملكة كما يعرفها السيد الشريف في كتابه التعاريف بأنها: "صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى: حالة، ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير مَلَكَة" [2]

فتكوين الملكة في علم يحتاج إلى الدراسة المتواصلة للعلم والإحاطة بمسائله، وفهمها فهما دقيقاً وليس الأمر مقتصراً على الفهم فحسب وإنما يمتد ذلك إلى تحصيل الملكة من العلم والمقصود بالملكة من العلم هو تحقيق غاية العلم على أعلى المستويات مثال على ذلك عندما نقرأ علم النحو مثلاً فتحصيل ملكة النحو لا تتأتى بحفظ متونه، فقط، ولا تأتي كذلك من الإحاطة بنوادر شروحه ونكت حواشية، ولكن تحصل بالمران على تطبيق قواعده ومعرفة مواطن الخطأ والخلل وتجاوزها، ولنستمع إلى ابن خلدون وماذا يقول في هذا الشأن: "التعليم للعلم من جملة الصنائع "

وذلك أن "الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لأنا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدىء فيه وبين العامي الذي لم يعرف علما وبين العالم النحرير والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير"

([1])مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، الناشر دار القلم سنة النشر 1984/ بيروت، 430.

([2]) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م، ص: 229.

"الفهم والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أم في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر إلى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبرا من "الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم" وإلا لكان واحدا عند جميعهم ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه" [1]

والملكة وتحصيلها ليست على درجة واحدة وانما هناك درجات متفاوتة وتفاوتها يكون بكثرة المران والممارسة للعلوم، وكذلك كثرة الحديث والكلام في تقرير مسائل العلم وشرحه على اكثر من طريقة وذلك ما نجده في المدراسة التي تكون بين الطلاب والتي هجرها طلاب العلم هذه الإيام وهي من الأهمية بمكان فإنها تتيح للطالب أن يقوم بتقرير الدرس قبل استاذه قبل أخذ الدرس أو بعده في المراجعة وتلك تقوي من مهارته وملكته في العلم أكثر ما يقويه حفظ المتون أو التبحر في الشروح والحواشي.

3: الملكة:

يقرر ابن خلدون أن الصناعة لا غنى لها عن العلم، وذلك يؤكد موسوعية ابن خلدون واهتمامه بالجانب العملي للعلم، والذي يندر عند المشتغلين في العلوم فإن اكثر تركيزهم على الجانب النظري، يقول في ذلك" إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عمليا هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل لأن "المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عن الخبر على قدر جودة التعليم وملكة المتعلم في الصناعة وحصول ملكته"[2] ثم إنه يقرر بعد ذلك أنه من أجل ما ذكرناه من الصنائع انما تقوم على الملكات والملكات هي نوع من التعلم وذلك لا يحصل دفعة واحدة بل يحتاج إلى وقت في تحصيله وتطوره يقول في ذلك: "ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدريج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال إذ خروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الأمور الصناعية فلا بد له إذن من زمان

([1]) مقدمة ابن خلدون، 430.

([2]) مقدمة ابن خلدون ، 400.

ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها إلا البسيط فإذا تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل" [1]

قال الزركشي في البحر المحيط: "*لَيْسَ يَكْفِي فِي حُصُولِ الملَكَة عَلَى شَيْءٍ تَعَرُّفُهُ، بَلْ لَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ الِارْتِيَاضِ فِي مُبَاشَرَتِهِ، فَلِذَلِكَ إنَّمَا تَصِيرُ لِلْفَقِيهِ مَلَكَةُ الِاحْتِجَاجِ وَاسْتِنْبَاطِ الْمَسَائِلِ أَنْ يَرْتَاضَ فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَمَا أَتَوْا بِهِ فِي كُتُبِهِمْ. وَرُبَّمَا أَغْنَاهُ ذَلِكَ عَنْ الْعَنَاءِ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِذَلِكَ إذَا تَمَكَّنَ مِنْ مَعْرِفَةِ الصَّحِيحِ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ مِنْ فَاسِدِهَا. وَمِمَّا يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ لَهُ قُوَّةٌ عَلَى تَحْلِيلِ مَا فِي الْكِتَابِ وَرَدِّهِ إلَى الْحُجَجِ، فَمَا وَافَقَ مِنْهَا التَّأْلِيفُ الصَّوَابَ فَهُوَ صَوَابٌ، وَمَا خَرَجَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ فَاسِدٌ، وَمَا أَشْكَلَ أَمْرُهُ تَوَقَّفَ فِيهِ.*" [2]"

"إن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملَكَة لم يكن الحذق ذلك الفن المتناول حاصلا وهذه الملَكَة هي في غير الفهم والوعي لأنا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يحصل علما وبين العالم النحرير والملَكَة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملَكَة غير الفهم والوعي" [3]

([1]) مقدمة ابن خلدون، 400.

"([2])البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1994م، 266/8."

"([3])أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ) الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الطبعة الأولى 1423 هـ- 2002 م". 105.

ثالثا :فلسفة ابن خلدون الفكرية في تحصيل العلوم

يذكر ابن خلدون عدة صفات للعملية التعليمية الناجحة والتي تؤتي أكلها وتبين نتائجها السريعة، وفقاً للطبيعة البشرية في طريقة التعلم، وتلك النقاط المهمة الرئيسة يجب على المعلمين الالتزام بها ومراعاتها وهي :

1: التدريج:

يذكر ابن خلدون ان التدريج هي سنة كونية في كل شيء فالأمور في أي شأن لا تحصل دفعة واحدة، ويذكر ان مراحل تعلم أي علم تكون على الأقل في ثلاثة مراحل :

- المرحلة الأولى: يقول ابن خلدون في هذا الشان: "إعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكه في ذلك العلم" إلا أنها" جزئية وضعيفة وغايتها أنها هيأتها لفهم الفن وتحصيل مسائله" [1]
- المرحلة الثانية: يرجع المعلم هذه المرة إلى العلم ولكن بمستوى أعلى وطريقة اعقد من المرة الأولى يقول ابن خلدون في ذلك: "ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته" [2]
- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة المتمكن والمتبحر وهي المرحلة التي يكون فيها الطالب قد وقف على العلم والاختلافات وفهمها فهماً عميقاً وتمكن من مسائله وحينئذٍ تزداد صعوبة مهمة المعلم وتتسع دائرة مسؤوليته يقول ابن خلدون في ذلك: "ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته" [3]

2: التفريق بين العلوم الآلية والعلوم المقصودة لذاتها:

يبين ابن خلدون ان على المعلم والمتعلم ان يميزوا بين العلوم الآلية والتي تكون في تحصيل العلوم المراد لذاتها، فإذا حصل له هذا التمييز عليه ان لا يتوسع فيها بل يقتصر فيها على تحصيل الملكات أما الإحاطة

([1]) مقدمة ابن خلدون، 533.

([2]) المصدر السابق، 533.

([3]) مقدمة ابن خلدون، 533.

بالنوادر والنكت فذلك مضيعة للوقت، ومصدة عن العلم ، اما العلوم التي تطلب لذاتها فهي ليست وسيلة لغيرها فالتوسع فيها مطلوب ومهم ولنترك الحديث لابن خلدون ليبين لنا الشأن في ذلك: "إعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام ،وكالطبيعيات والإلهيات من الفلسفة وعلوم هي وسيلة آلية لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات كالمنطق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولأصول الفقه على طريقة المتأخرين فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لأن ذلك مخرج لها عن المقصود إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها مع أن شأنها أهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعا للعمر وشغلا بما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق وأصول الفقه لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها وأكثروا من التفاريع والاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها أنظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي أيضا مضرة بالمتعلمين على الإطلاق لأن المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فمتى يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبحروا في شأنها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده"[1]

3: الرحلة في طلب العلوم واللقاء باهل العلم :

يرى ابن خلدون أن الرحلة في طلب العلم وقصد المشايخ والتعلم منهم مشافهة هي من أهم الطرق الموصلة إلى حقيقة العلم وتحصيل الملكات العلمية، وذلك لما في المشافهة والمواجهة ما لم يكن لغيره من يقول في ذلك : "أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة"، علما وتعليما وإلقاء وتارة "محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ

(1) مقدمة ابن خلدون، 537/1,

يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات"، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم" [1]

رابعا :عوائق التحصيل

يواجه طالب العلم عدة عوائق في تحصيله وطلبه للعلم تحاول صده عن طريقه ومنعه من الوصول إلى مبتغاه وتتنوع تلك العوائق وتختلف بحسب الأزمان والأمكنة والأحوال ومرادنا هنا من تلك العوائق، وما ذكره ابن خلدون هو ما يتعلق بالمنهج ومنهجية التعليم وقد ذكر ابن خلدون عدة عوائق في مواضع مختلفة نذكر منها ما يأتي:

1: كثرة التآليف في العلوم:

يرى ابن خلدون أن كثرة الكتب المؤلفة في علم ما مما يصعب المهمة على الطالب أو يجعلها متعذرة ومنهكة، يقول في ذلك: " اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها" ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكتب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والإحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقضي في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط

([1]) مقدمة ابن خلدون، 541.

لكان الأمر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا ومأخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة[1]

2: الشدة على المتعلمين:

اللين والرفق في الأمور مبدأ من مبادئ ديننا الحنيف قال تعالى يخاطب حبيبه (ﷺ) وهو عنوان الرحمة ومظهرها: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[2]

يرى ابن خلدون أن الشدة على المتعلمين ضارة بهم وقد يودي بهم إلى انقباض النفس والكسل والكذب والخبث وغيرها من المساوئ، يقول في ذلك: "أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم ؛ وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك أمره عليه ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به" [3]

3: كثرة الاختصارات المؤلفة والمخلة:

يرى ابن خلدون ان اختصار العلوم في بعض المؤلفات والإكثار منها في كل الفنون، يراه ابن خلدون مما يحول بين الطالب والعلم ، وعزا ذلك إلى عدة أسباب منها:

- انه يخل بالبلاغة ويقصد بالبلاغة توصيل المعنى فيكون بذلك عسر الفهم،
- فيه تخليط على المبتدئ لأنه يلقى اليه الغايات نهايات العلوم والتفاصيل الدقيقة وهو لا يزال في بداية تحصيله. [4]

([1]) مقدمة ابن خلدون، 532,

([2]) سورة آل عمران، جزء من الآية: 159.

([3]) مقدمة ابن خلدون، 540.

([4]) ينظر : مقدمة بان خلدون، 532

- فيه جهد كبير على المتعلم ويكون ذلك بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم وتزاحم المعاني عليها ، وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، وذلك لأن ألفاظ المختصرات يراعي فيها جانب الاختصار على جانب الوضوح وبذلك نجها معقدة وصعبة ويحتاج الطالب في فهمها إلى شروح، والشروح ربما تحتاج إلى الحواشي. [1]
- الملكة التي تحصل من المختصرات قاصرة كما يراها ابن خلدون حيث يقول: " فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى أعلم" [2] مع أن الكثير يرى أهمية المتون ويعول عليها ويجعلها في غاية الأهمية ولا يرى فيها إلا أنها علوم مضغوطة ومختصرة ليسهل حفظها واتقانها

4: الجهل بطرق التعليم الصحيحة:

ذكرنا في المطلب السابق بعض الطرق الصحيحة في التعليم والتي يجدر بالمعلم اتباعها ولكن الجهل بتلك الطرق وأهميتها والتساهل في تطبيقها يجعل من العملية التعليم في مهب الريح ومعرضة للزوال والخراب، يقول ابن خلدون وهو يصف معلمي عهده: "وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ويكون المتعلم أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن" [3]

([1]) ينظر: مقدمة ابن خلدون، 533.

([2]) مقدمة ابن خلدون، 533.

([3]) مقدمة ابن خلدون 534.

ثم يبين ما يترتب على عدم مراعاة الطرق الصحيحة في العلم فيقول: "وإذا ألقيت عليه الغايات في البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وإنما أتى ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكه بها ينفذ في غيره لأن المتعلم إذا حصل ملكه ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم وأدركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم والله يهدي من يشاء" [1]

5: تفريق المجالس في تحصيل العلم: يذهب ابن خلدون أن التباعد بين جلسات تعلم العلم قد تذهب بارتباط المعلومات بعضها ببعض فيقول في ذلك: "ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبة للنسيان كانت الملكة أيسر حصولا وأحكم ارتباطا وأقرب صبغة لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون[2]

6: خلط العلوم بعضها ببعض وإكثارها على المبتدئين: يرى ابن خلدون أن من الطرق الواجبة في التعليم عد م الخلط بين العلوم في وقت التحصيل بل يأخذها علماً علما، يقول في ذلك" ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معا فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرا عليه فربما كان ذلك أجدر لتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب "[3]

الخاتمة:

([1]) المصدر السابق، 534.

([2]) مقدمة ابن خلدون، 534.

([3]) المصدر السابق، 534.

في خاتمة المطاف وبعد أن يسر الله كتابة هذه الورقات المتواضعة كان من الواجب أن تذكر أهم النتائج التي توصلت إليها, وهي كالآتي :

1. ان العملية التعليمية من أهم العمليات لبناء مجتمع متحضر بنعم بالرقي الأخلاقي والمعرفي، وإن الاخلال بهذا النظام يعني انهيار المجتمع وذهاب قوته ومنعته.
2. ان التدرج في التعليم يعد من أهم النقاط التي تجعل من العملية التعليمية عملية سهلة ومريحة ومن ناجحة وتؤتي ثمارها وأكلها، وعلى العكس من ذلك فإن الاستعجال في تكثيف المعلومات واختصار الوقت بإعطاء ما يصلح للمتأخرين للمبتدئين يجعل من العملية التعليمية صعبة ومملة ومن ثم مستحيلة وغير مثمرة.
3. ان العلوم الآلية وهي العلوم التي يراد منه أن تكون وسيلة لغيرها، كعلم النحو والصرف والمنطق، لا ينبغي التوسع فيها وإكثار قراءة الكتب والشروح والحواشي منها، (لغير اهل التخصص) بل ينبغي ان يهتم بتحصيل ملكاتها ومن ثم التوسع في العلوم المطلوبة لذاتها كعلوم القرآن من التفسير وعلوم الحديث.
4. ان الرحلة في طلب العلم ومشافهة المشايخ لها من الأثر في الطالب ما ليس لغيرها، فعلى عدد شيوخك ستكون ملكاتك وتنوع معارفك.
5. ان مما يكون عائقاً عن تحصيل العلوم وسببا في صرف المتلقين لها هو كثرة التآليف في العلوم وتنوع المؤلفات بين مطول ومختصر ومتن وشرح وحاشية، ثم يطلب من الطالب أن يحيط بكل تلك الكتب وهو أمر صعب، وإن قدر عليه فستضعف ملكته وأحكامه لكل تلك الكتب وستوهن تمكنه من العلم ككل ومن قدرته على الإبداع فيه والتميز.
6. ان الشدة على المتعلمين أمر غير صحيح ويأتي بنتائج عكسية وغير مرجوة، بل هي سبب في ظهور صفات النفس البغيضة كالكذب والخداع والكسل والجبن وسائر الصفات الدنيئة.
7. ان الاختصار المخل في بعض المتون وتعقيد عبارته أدى إلى قصور في أداء المعنى المراد مما أحوج الطالب إلى الشروح وقد يحتاج إلى الحواشي أيضاً، وذلك مما يضاعف الوقت والجهد على الطالب.
8. ان الصنائع شأنها شأن العلم فهي ملكة عملية وهي تحتاج إلى معلم وكثرة مران وخبرة تتزايد مع الوقت، وذلك المران والعمل الدؤوب هو الذي يخرجها من حيز القوة والكمون إلى حيز الفعل والوجود الحقيقي.

References:

The Holy Quran.

1. Ibn Khaldun, His Life and Intellectual Heritage, Muhammad Abdullah Anan, The Great Commercial Library, Cairo, second edition, 1953 AD - 1372 AH.

2. Al-A'lam, Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris, Al-Zirakli al-Dimashqi (died: 1396 AH), Dar al-Ilm Lil-Millain, Edition: Fifteenth - May 2002.

3. Abjad al-Ulum, Abu al-Tayyib Muhammad Siddiq Khan bin Hassan bin Ali Ibn Lutfullah al-Husseini al-Bukhari al-Qannuji (died: 1307 AH) Publisher: Dar Ibn Hazm, Edition: First Edition 1423 AH - 2002 AD.

4. Al-Bahr Al-Muhit fi Usul Al-Fiqh, Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Al-Zarkashi (deceased: 794 AH) Publisher: Dar Al-Kutbi, Edition: First, 1414 AH - 1994 AD

5. Al-Jami' Al-Sahih, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughirah Al-Bukhari, Abu Abdullah (deceased: 256 AH), Publisher: Dar Al-Shaab - Cairo, Edition: First, 1407 - 1987.

6. Hasan Al-Mudathah on the History of Egypt and Cairo, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (deceased: 911 AH) Editor: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Revival of Arabic Books - Issa al-Babi al-Halabi and Partners - Egypt, First Edition 1387 AH - 1967 AD .

7. The life of Ibn Khaldun and an example of his social philosophy, Muhammad Al-Khader Hussein, Hindawi Foundation for Education and Culture, Egypt 2012 AD.

8. Dhayl al-Taqeed fi Ruwat al-Sunan wa al-Asanid, Muhammad bin Ahmad bin Ali, Taqi al-Din, Abu al-Tayyib al-Makki al-Hasani al-Fasi (died: 832 AH), editor: Kamal Yusuf al-Hout, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, first edition, 1410 AH/1990 AD..

9. Al-Kulliyyat, a dictionary of linguistic terms and differences, Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa Al-Husseini Al-Kafawi, year of birth 1094 AH. / Year of death, verified by Adnan Darwish - Muhammad Al-Masry, publisher, Al-Resala Foundation, year of publication 1419 AH - 1998 AD, Beirut.

10. The authentic, brief chain of transmission of justice from justice to the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, Muslim ibn al-Hajjaj Abu al-Hasan al-Qushayri al-Naysaburi (died: 261 AH). Verified by: Muhammad Fouad Abd al-Baqi, publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi - Beirut.

11. Introduction by Ibn Khaldun, Abdul Rahman bin Muhammad bin Khaldun Al-Hadrami, publisher Dar Al-Qalam, year of publication 1984/ Beirut.